الهويّة والتّاريخ في رواية كولونيل الزبربر للحبيب السايح

طلحة عبد الباسط، طالب دكتوراه

معهد الآداب واللغات

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

Summary :

The identity of any society or – entity can not be separate from it's past or abandon its canstant, As the paste is shaped according to the circumstances, Escperienced by human groups, it Becomes its own.

History, from which history becomes one of the most important components of identity this is what the novel « Colonel Zuberber » tells the novelist " Elhabib Sayeh " identity and relation to historical memory.

Key words: _ History _ identity _ égo _ addmiting _ revolution

Résumé :

Aucune société ne peut être dissociée de son passé, ni de son identité, car le passé constitue selon les conditions par lesquelles elle passe, sa propre histoire, En effet l'histoire représente l'un des principaux constituants de l'identité, selon le roman " Colonel Zuberber " de l'auteur " Elhabib Sayeh ". Ce roman traite le sujet de l'identité et son étroite relation avec la mémoire historique. Dans le cadre de l'imaginaire .Car l'imaginaire historique fonde de nouvelles relations afin de démontrer le rôle de l'histoire de construire l'identité et le changement de ses convictions et faites - le remettre en question tous les faits que l'ego vit, à travers un certain nombre de manifestations, comme leur relation aux contradiction de l'histoire et l'impact des confessions sur eux, ainsi que d' un part le rôle de récit de la révolution et de la mémoire historique dans leur provocation, et le rôle historicisme de lieu dans leur formation d'autre part.

Mot clés: L'histoire, l'identité, l'ego, la révolution, la confession

الملخص:

لا تستطيع هوية أي مجتمع أو كيان الانفصال عن ماضيها، أو التخلي عن ثوابتها وبما أن الماضي يتشكل حسب الظروف التي تمر بها الجماعات البشرية، فإنه يغدو تاريخها الخاص، ومنه يصبح التّاريخ أحد أبرز مكونات الهويّة، وهذا ما تطرحه رواية (كولونيل الزبربر) للروائي " الحبيب السايح "؛ إذ تتناول قضية الهويّة وعلاقتها بالذاكرة التّاريخية، وهذا كله في إطار متخيل، لأن المتخيل التّاريخي يؤسس هنا لعلاقات جديدة يريد الوصول من خلالها إلى إبراز دور التّاريخ في شحن الهويّة وتغيير قناعاتها وجعلها تستنطق كل الحقائق التي كانت تحيا الأنا في ظلها من خلال جملة من التمظهرات، كعلاقتها بتناقضات التّاريخ، وأثر الاعترافات عليها، وكذا دور سردية الثورة والذاكرة التّاريخية في شحنها، مرورا بتاريخية المكان في بلورتها.

الكلمات الدالة: التّاريخ؛ الهويّة؛ الأنا؛ الاعتراف، الثورة.

تمهيد: يقوم التاريخ على فعل السرد؛ إذ يرصد ويصور كل ما يتعلق بماضي الإنسان وأثناء تصويره لهذه الحركة فإنه يقدم كل ما يتعلق بالحياة ويطرح مجموعة من الأسئلة التي تتصل بكينونة الإنسان وهويته وماهيته، ويؤدي التاريخ دورا هاما في طرح مفهوم مغاير للهوية وذلك بفعل ارتباط الفرد بماضيه وجعله التاريخ أحد الركائز التي يقوم عليها حاضره ومستقبله، فالهوية تتداخل مع التاريخ لتثير الأوضاع الاجتماعية والسياسة التي تشوبها بعض الاضطرابات، وتبعث صراع الإنسان مع نفسه ومع محيطه.

تتفاعل الهوية والتاريخ داخل الإبداعات الروائية بفعل القدرة التي يمنحها المتخيل الروائي لأنه يوسع دائرة تفاعل الهوية مع المعطيات التاريخية وبخاصة التي تتحدث عن المُغْفل والمضمر ومدى تأثير هذا الأمر على هوية الأفراد والمجتمعات، وهذا ما نجده في رواية (كولونيل الزبربر)؛ لأن التاريخ الذي تقدمه هو الثورة التحريرية المجيدة، بكل آمالها وخيباتها، وأحداثها المفرحة حينا والمحزنة أحيانا، إذ تسعى الرواية إلى طرحه كأهم وأجلِّ الروافد والمكونات في الهوية الوطنية الجزائرية، إن هذه الفكرة هي محاولة لإعادة تعريف الهوية ومحاولة لجعل الأجيال الجديدة على اتصال دائم بماضيها، وجعل هذا الماضي (الثورة) في منزلة المقدس فالرواية تجعل الذات (الهوية) مرتبطة بصفة آلية بتاريخها أو ماضيها عن طريق رسم الثورة في إطار شاعري مقدس وأسطوري يحيل إلى جعل سلطة الماضي تتقاطع في الحاضر، وتؤسس لهوية جديدة مشحونة بسيل من الذكريات، ولعل المتتبع للشخصيات الرئيسية في الرواية يلحظ هذا الأمر، فالمذكرات انتقلت من الجد إلى الابن ثم الابنة، ثم القارئ، وهذا يحيل إلى دور المراحل التاريخية في التأسيس للهوية الوطنية.

وسنسعى في هذه المحاولة إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات التي انطلق منها هذا البحث من مثل: كيف يتقاطع التاريخ مع الهوية؟ كيف صورت الرواية أثره على الهوية؟ هل ساهم هذا التاريخ في شحن الهوية؟ أم أدى إلى تعميق انشطارها وانفصالها عن الواقع؟

1. بين الهوية والتاريخ:

تواجه الدارس مجموعة من التساؤلات إذا أراد الخوض في مفهوم الهوية، وذلك لتعدد الآراء والأفكار في معالجتها وتقاطعها مع بعض المصطلحات التي تندرج ضمن الحقل الدلالي نفسه.

يتحدد « مفهوم الهوية بناءً على الدلالة اللغوية والفلسفية والسوسيولوجية والتاريخية لهذا المصطلح، ويقابل مصطلح الهوية العربي كلمة identité /identity في الفرنسية والإنجليزية، وهو من أصل لاتيني ويعني الشيء نفسه، أو الشيء الذي هو وما هو عليه؛ أي أن الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر، كما يعني هذا المصطلح في اللغة الفرنسية مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخص معروف أو متعين»[1] فهي ماهية الشخص وما يدل عليه.

ويذهب (بول ريكور Paul Ricœur) إلى أن «الهوية وجود وماهية غير أنها لا تمثل جوهرا ثابتا ومتعاليا على الزمان والمكان بل هي حالة متحركة ومتداخلة، إنها صيرورة بالمعنى المجازي والتاريخي الذي يتيح تضمينها إشكاليات وأزمات هي لازمة لها، والهوية من حيث هي كذلك كل من العلاقات والصلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... ترتبط باللغة والتاريخ والمصير الواحد والمصالح المشتركة، والمحددة بأبعادها وعلاقاتها التي تمثل في علاقة الأنا/الذات بالأنا، وعلاقة الأنا بالواقع في سيرورته، وعلاقة الأنا بالآخر غير أن هذه الأبعاد ليست انشطارات منعزلة بل تحكمها علاقة جدلية مترابطة ومتحركة »[2] .

فالهوية ليست شيئا ثابتا، بل معطى متحرك أو زئبقي تتأثر بمجريات الأحداث، ولا يمكن فصلها عن المجتمع أو العلاقات الاقتصادية والسياسية، وتبقى خاضعة للجماعة التي تنتمي إليها.

ويقول كذلك: « بأنه يمكن تعريف الهوية، بأنها ما به يمكن للفرد أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة »[3].

أما عن مفهوم التاريخ فهو « مجموعة الأحداث الإنسانية التي مضت وانتهت لكنها قابلة للتحول والتفسير والتأثير، وهي أحداث ووقائع تترك بصماتها وآثارها في الحاضر والمستقبل، وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة و(الفعل الإبداعي) منه الأدب خاصة»[4]، فالتاريخ لا يدخل في الماضي فقط بل يتجاوزه إلى المستقبل ويتداخل مع بعض المعارف التي تنتجها الإنسانية في مراحل حياتها، ويتفاعل مع الأدب والثقافة بصفة خاصة.

يتداخل الخطاب التاريخي مع الخطاب الروائي في فعل السرد فهما يتقاطعان « في أكثر من علاقة، وهذا التقاطع يجهز على الثنائية القائلة باختلافهما الكلي، فقوة التاريخ وقوة السرد تجدان المعنى المشترك لهما في إعادة تصوير الزمان؛ أي الإحالة المتقاطعة للتاريخ والسرد فكثيرا ما يتبادلان الأدوار والوظائف؛ لأن القصدية التاريخية وحدها تصير ذات تأثير تمارسه من خلال إدماجها في موضوعها المقصود مصادر الصياغة القصصية النابعة من الشكل السردي للخيال»[5]؛ أي قدرة كل منهما على تقديم الحدث الزمني في أفكار وقوالب جديدة فما يؤديه السرد يحل محل التاريخ في كثير من المواضيع، فالأمم مرويات وسرود، حسب "إدوارد سعيد" في أنماط حياتها فالسرد له القدرة على حفظ جوانب تاريخية.

تتشابك علاقة الهوية بالتاريخ داخل الرواية بفعل القدرة التي يمنحها «المتخيل الروائي في الارتباط بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية المحلية بشكل بارزا حيث كان لجوء الروائي إلى التغيير عن هواجسه بكافة الطرق الرمية في لحظات اشتداد القمع والرقابة، ثم جاء التعبير عن هذه الهواجس وقد تحولت إلى محن وكوابيس في لحظات أخرى بدا فيها الانفراج محنة تستبطئ شكلا آخر للضياع الفادح»[6] فالرواية هي أكبر أجناس الأدب قدرة على جمع ثنائية الهوية والتاريخ بواسطة فعل التخيل.

يعمل التاريخ على تحقيق وحدة الأفراد وصهر هوياتهم في هوية كبرى فهو « إحدى أهم عناصرها، إذ تذوب في الحروب والصراعات هويات متعددة العناصر وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع وهي السائدة وغالبا ما تحدد هذه الهوية دائما بالتاريخ »[7]، عن طريق تمتين روابط الانتماء بين الفرد وجماعته والجماعات الأخرى من خلال ما يمارسه التاريخ في تعزيز وتمتين الروابط بين الماضي والحاضر.

يطرح (بول ريكور Paul Ricœur) رؤيته الخاصة لدور التاريخ في إعطاء الهوية بعدا أوسع من خلال حديثه عن تقنية السرد في الحوادث التاريخية فـ « الشخص حسبه، يتمتع بنظام الهوية الدينامي التي تتميز به القصة المرورية، فهوية القصة هي التي تصنع هوية الشخصية كيف ذلك؟ يتحدد ذلك عن طريق الديالكتيك المزدوج: التنافر/التوافق فهناك هوية تمثل عينة الطبع بمعنى الدوام في الزمان من جهة وهناك ذاتية متأنية من استمرارية الذات الفاعلة من جهة أخرى »[8]، فالقصة المروية عنده هي الحادثة التاريخية التي تؤرخ لفترة ما من حياة الإنسان، هذه الحادثة تصنع هوية الفرد من خلال تفاعله مع محيطه.

ويخلص (بول ريكور Paul Ricœur) إلى اعتبار علاقة الهوية والتاريخ توجد بواسطة « السرد بشكلية التاريخي والتخيلي في عملية جدلية تومئ بإعادة تشكيل الفعل حكيا يرسم الأحداث منحازة تستدعي نموذجا ما»[9] فإذا شكل السرد التاريخي هوية ما، فإن السرد التخيلي يقدمها وفق مجموعة من العلاقات المتشابكة، بعد هذا يمكن القول أن الرواية أو السرد التخييلي تخلق وتمثل علاقات جديدة بين الهوية والتاريخ، ويجسد الهوية ويتجول السرد وسطها لنقل التاريخ.

تطرح الرواية التاريخ والهوية من منظور الإجابة على أسئلة الراهن أو الواقع الذي يواجهها « ففعالية وجود المادة التاريخية في ثنايا الخطاب الروائي لا تبقى على صفة جامدة بعيدة عن أثر الفاعليات النصية حيث أن المناقصة في هذه الحال باستطاعتها أن تقدم المعنى الموضوعي للتاريخ في إطار مقارنة التاريخ بالراهن وتقديم قراءة موضوعية لطبيعة المادة التاريخية على علاقتها بالحاضر »[10] .

ما يمكن قوله إجمالا أن طرح الهوية في إطار علاقتها بالتاريخ يأتي لأنه « كثيرا ما يكتب التاريخ الرسمي من وجهة نظر واحدة ويصف هوية الأقوى أو ذوو السلطان أو النفوذ، فتعيد الرواية البحث عن مصير هوية المهمشين والمقموعين الذين يحاولون طرح هوية بديلة، داخل هذه النصوص للتخلص من هاجس الهوية الحقيقية التي تسيطر عليهم »[11] .

2. تمظهرات الهوية والتاريخ في رواية " كولونيل الزبربر " للحبيب السايح:

تطرح رواية " كولونيل الزبربر" قضية الهوية وعلاقتها بالذاكرة التاريخية، في إطار متخيل، لأن المتخيل التاريخي يؤسس هنا لعلاقات جديدة يريد الوصول من خلالها إلى إبراز دور الذاكرة التاريخية في شحن الهوية وتغيير قناعاتها وجعلها تستنطق كل الحقائق التي كانت تحيا في ظلها، تنقل "الطاووس" حفيدة المجاهد "مولاي بوزقزة"،

وابنة العقيد "جلال" مجموعة من الحوادث التاريخية التي هي عبارة عن ذكريات أو مجموعة من المذكرات التي يتركها الجد لابنه، وبدوره يتركها لابنته، فيما يشبه محاولة ربط الأجيال بتاريخها المشرق، هذا التاريخ هو الثورة التحريرية المجيدة، بكل آمالها وخيباتها، وأحداثها المفرحة حينا والمحزنة أحيانا، إذ تسعى الرواية إلى طرحه كأهم وأجل الروافد والمكونات في الهوية الوطنية الجزائرية، إن هذه الفكرة هي محاولة لإعادة تعريف الهوية، ومحاولة لجعل الأجيال الجديدة على اتصال دائم بماضيها، وجعل هذا الماضي (الثورة) في منزلة المقدس.

2. 1. الأنا وتناقضات التاريخ:

الأنا هي « تطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها، وليس شخصا أو شيئا آخر »[12].

وتُمَثِّلُ الرواية الأنا أو الهوية عن طريق « إعادة إنتاج المرجعيات، على وفق أنساق متصلة بشروط النوع الأدبي، ومقتضيات الخصائص النصية وليس امتثالا لحقيقة المرجع، فالمرجع مجموعة أنساق ثقافية محملة بالمعاني الاجتماعية والنفسية والفكرية في عصر ما»[13]، وتكتسب الهوية بواسطة التمثيل أهمية كبرى، إذ تنسج في إطار سردي جمالي، كما تنفتح على باقي العناصر المكونة للخطاب الثقافي المتعلق بحياة الإنسان وكل المظاهر التي تدل على نشاطه مثل المعتقدات والعادات والممارسات وغيرها.

أما إذا عدنا إلى مفهوم الأنا حسب الدراسات النفسية فهو « الجانب الواعي من الشخصية، كما أنه يشرف على كل وسائل الحركة؛ أي تفريغ التهجينات في العالم الخارجي وهو المنطقة العقلية التي تشرف على جميع العمليات الذهنية »[14]، وفي في النصوص الأدبية نجد الأنا « شخصيات تمثله أو كشخصيات تعد وظائفها من الأساس وظائف الأنا، أي أنها تتناول علاقة الفرد ببيئته وبنفس الأسلوب يمكن أن نجد الأغراض والمؤسسات والظواهر الأخرى التي تمثل الأنا أو تعكسه»[15]؛ فنجد في الروايات –على سبيل المثال – الأنا الذي يرادف مفهوم الشخصية في سعيها نحو التحرر، وتنفيذ طموحاتها الكبرى التي تسعى إلى استكمالها ولو على حساب القيم والمعارف الراسخة في وجدان المجتمع التي تنتمي إليه.

تمثل الأنا في الرواية موضوع الدراسة شخصية "الطاووس" كانت قبل أن تستلم المخطوط جاهلة ما يحدث، أو كانت تعاني نقصا في الهوية، غير أن هذا المخطوط يعيد لها الأمل من خلال وقوفها على الماضي وتمكنها من فهمه، عند اضطلاعها على التاريخ المنسي لأن دراسة الماضي « تسهم في فهم الحاضر بشكل أفضل، وذلك لأن بناء المجتمع الحالي له أصول في الماضي وكلما تحسنت معرفتنا بهذه الأصول أصبحنا مهيئين بشكل أفضل للتغلب على الصعوبات التي تواجهنا »[16] وهذا بفعل هذه الذاكرة التي قدّمها الجد والأب فاستطاعت تفسير الماضي وكشفت الغطاء عما أغفل في غياهبه، تقدم الرواية شخصية "الطاووس" المحاوِلَةِ تأسيس وشحن هويتها عن طريق

الأحداث التاريخية التي تناقلتها عن جدها بواسطة والدها « فمن نافذة السيارة كنت نظرت بدمعتين إلى والدي، كأنه جدي في برونسه الوبري فارسًا همامًا نزل للتو من على حصانه، وبجنبه العمة ملوكة، كان ياسين في بدلة زرقاء ليلية، أعطى ضاحكا إشارة انطلاق الموكب بطلقتين من مسدسه، وركب سيارته »[17] فهذه الابنة من عائلة ثورية، ووالدها وشقيقها ينتميان إلى المؤسسة العسكرية، ومنه فالتاريخ يجري في هويتها مجرى الدم في الجسم، لكنها تبدو هنا مكتشفة جديدة لما غُيِّبَ عنها.

بل إنّ ما تنقله "الطاووس" عن والدها، بجعله التاريخ بكل جزئياته مرجعا هاما في بناء هويته، تجعل من "جلال" مهوسا به إلى درجة لا توصف « ليلتها كان الطفل جلال، وهو يغالب نومه، تخيّل لأبيه وجها كالذي وصفه له الجد سي المهاجي غداة إعلان وقف إطلاق النار في 19 مارس وصف أضاء له عتمة الحجرة، إن ماتوا حسبتهم يبتسمون مبتهجين بلقاء انتظروه وإن رجعوا رأيت وجوههم لملائكة، يمشون على الآرض، فرأى نفسه تحول إلى وجه أبيه مولاي ملاكا، يخرج من نور الشمس، كتلك التي تشرق من خلف جبل الزبربر»[18] فهذا الابن تتماهي كينونته منذ صغره بالعنصر التاريخي لأنَّ انتماءه يتحدد في ظل انتسابه للمؤسسة العسكرية التي تعتبر نفسها وريثة لجيش التحرير الوطني، ثم تواصل "الطاووس" ملئ ثغرات الذاكرة وشحن هويتها بالتاريخ، بفعل ما تجده من مستجدات كانت مغيبة عنها « في الكازمة الآن، يضيف مولاي بوزقزة: وكيف يسقط القائدان عميروش وسي الحواس في العام الخامس 29 مارس 1959م في كمين قاتل نصبه لهما العدو، لدى محاولتهما عبور الحدود الشرقية؟! »[19]، قد تبدو هذه الاعترافات خطيرة، وتسبب أزمة نفسية لقارئها، لكن الصدع الذي تحدثه والأسئلة التي تطرحها تمكن من ترميم ذاكرتها.

بل إن الأنا في هذا المقام تجد ارتباكا كبيرا بفعل التناقضات التي تكتشفها فتعيد فتح بعض الملفات التي كانت تراها ناقصة مثل التساؤل عن مصير بعض القادة الذين صنعوا مجد الجزائر كـ(العقيد عميروش) « أنا لا أعرف غير شارع باسم العقيد عميروش، أتذكر أني تغديت في مطعمه الجامعي ذات مرة مع حكيم »[20] ، فهذا الاعتراف أو سرد الذاكرة المغيبة مكنها من فتح فجوة مهمة، وهي محاولة بعض الأطراف تغييب بعض من صنعوا التاريخ من الذاكرة الوطنية، وبالتالي طمس جانب مهم في البعد التاريخي الهوية الوطنية.

تطرح الأحداث التي تقرأها "الطاووس" عن الخيانة والدسائس والمؤامرات التي مست تاريخ الثورة، مجموعة من الأسئلة في ذاكرتها، فهي في هذا المقام تمثل جيل ما بعد الاستقلال، مما يجعلها تقيم علاقة حوارية مع التاريخ لإدراك هويتها « أنا الحفيدة، صار لي أن أبلغ هذا العمر كله أربعا وثلاثون سنة الآن، لأعرف أن رابح زواوي الذي أصبح ضابطا في الجيش الوطني، كان ضمن الفرقة الخاصة التي أمَّنت نقل العقيد الأسير من سجنه إلى موقع إعدامه، قبل ثمانية وأربعين عاما! »[21] ، فالحفيدة تؤسس لتاريخ جديد أو مُكَوِّن يحل محل القديم في هويتها المتصدعة، والتي بالرغم ما أحدثته هذه الاعترافات من ألم إلاّ أنها نفست عنها قليلا وأراحتها لمعرفتها لهذه

الحقائق، وكأن هذه المستجدات قد أحدثت بُعْدًا جديدا في كينونة "الطاووس" فالتاريخ أعاد تحبيك وتشكيل هويتها من جديد لِأَنَّ « الهوية تكون عرضة للتحبيك أيضا، فثمة جماعات لا تمثل وجودها الخاص إلاّ من خلال سردها الخاص أو تحبيكها الخاص لتاريخها، وهذا التحبيك هو ما يدعم هويتها ويعيد تكوينها »[22] .

فالأنا وجدت نفسها خاضعة لسطان التاريخ المليء بالمتناقضات والذي أعطاها بعدا جديدا، فقد جسدت في هذا المقام « صورة ومعرفة لأصول حضارية وثقافية وتاريخية التي ينشأ بموجبها المجتمع، وتكون سببا في تطوره»[23]، « مهمومة بحيرتي، مثل والدي بلا شك، في ما جعل جدي يتجنب أن يُمَجِّدَ شيئا من فعله هو، ها أنا أسمع صدى قوله يتلاشى في أعماقي: آخرون ضحايا عدوان استمر قرنا واثنين وثلاثين عاما، هم الأحق بذلك، فأنا ما انفككت انتظر منذ وعيت وجودي التاريخي، أن يعاد لحرب التحرير مجدها المسلوب قلت ذلك لحكيم، قبل ليلة، إذ تحيّر لي في فراش نومنا، ولكن ما هذه الكآبة »[24]، فالتاريخ الجديد بالنسبة لـ "الطاووس" يشكل لها هما كبيرا، فهو ملازم لنفسها، ويحل محل جميع المكونات الأخرى كالذهنية، والبيئة الجغرافية والإيديولوجيا.

2. 2. الهوية والاعتراف:

يقترن الاعتراف بالهوية « سواء أكانت هوية فردية أم جماعية، فلا يمكن انتزاع الكتابة من الحاضنة الاجتماعية والثقافية التي يشتبك بها ولا يطرح موضوع الهوية في السرد والاعتراف بها، إلا على خلفية مركبة من الأسئلة الشخصية والجماعية، وتبادل المواقع فيما بينهما »[25]، فالمجاهد (الجد) "مولاي بوزقزة" يسجل على هامش جهاده ضد فرنسا بعض التجاوزات الخطيرة التي ارتكبت إبان الثورة كالتصفيات والاغتيالات التي مست كبار القادة، لكن القضية الرئيسية التي تتمركز حولها الرواية تتمثل في تصفية "العقيد شعباني"، إضافة إلى ذلك الوصف الدقيق لمعارك الثورة التحريرية، ثم ذكر الأحداث التي أعقبت الاستقلال الوطني.

تؤثر هذه الاعترافات على البطلة " الطاووس" لأن الجد نقل إليها كل التفاصيل في دقة وأمانة وما عليها إلا أن تنقله كما هو لترسيخه، فهذه الوقائع المروية كانت مغيبة عن ذاكرة الأجيال؛ لأجل معرفة ما كان عليه الرعيل الأول والثاني من الثوار بعيدا عن كل المغالطات المنقولة ضدهم « مولاي بوزقزة كما يذكر في كراسته، لم يشغله الجانب السياسي من الحرب إلا نادرا، فجنوده يعرفون ذلك، وإن هو اهتم به فإنما فحسب في تلك اللحظات التي يبدي خلالها رأيه لقائد الولاية إن طلبه إليه كغيره من مسؤولي الفصائل، ولو أنّه كما سجّله ظل يشعر أن حربا كهذه تُحَتِّمُ أن لا يكون الفصل بين المسؤوليات بتلك الصرامة؟ إنه يسميها الجمود »[26] ، فهذا الجندي رغم أنه يعارض بعض السياسات إلاّ أنه يبقى وفيا للقيم الكبرى كالإخلاص والولاء، وهي مميزات تشجع الجيل الحالي على التمسك بوحدة وطنه، إن هذا الاعتراف عن معارضة "مولاي بوزقزة" لبعض التصرفات المتبعة تجعل القارئ يدور حول الجوانب المغفلة من الثورة التي تقوم بسردها « أسرّها مولاي بوزقزة بمغص قابض، قاوم أن لا يفلت منه على لسانه ما كان سيسجله في كراسته، يُعدمُ سي مسعود سي هاني في العام الأول : 25 أكتوبر 1955م، غيرة من

وسامته وذكائه؟ تصفية، كي لا يكون خليفة القائد المقبوض عليه، لأنه آت من ناحية أخرى، مضحك محزن أن تُلَفَّقَ له تهمة تعاطي الشذوذ، وكيف لقائد محنك مثل بن بولعيد أن يقتله في العام الثاني 22 مارس 1956م، جهاز راديو مفخخ ألقته طائرة العدو جيء به إليه في كازمة ليجرب تشغيله، وبعده يقع القائد زيغود يوسف في العام الثاني: 25 ديسمبر 1956م في كمين نصب له هو وسبعة من رفاقه في دورية معادية في أحد المنازل المعزولة !؟»[27] ، هذه الحوادث تطرح سؤال الحقيقة والانتماء وتبعثه للبحث عن إجابات تسد بها هذه الفجوات المبثوثة في الذاكرة، فالجهوية المقيتة الناتجة عن بعض التصرفات المعزولة كانت سببا في إحداث شرخ على مستوى الهوية.

فالاعتراف هنا « يضع الكاتب أمام المسؤولية المباشرة لصناع الرأي العام لأن الاعتراف بذاته يقع في المنطقة المتوترة بين رغبة الجمهور في براءة المشاهير، ورغبة هؤلاء في التطهر مما لحق بهم من أخطاء اقترفوها من قصد أو غير قصد من خلال حياتهم وهذا التنازع حول الصورة الداخلية والخارجية يحول دون الاتفاق على حل مرضٍ للطرفين »[28]، المهم أن هذه الاعترافات تعيد رسم مسار الهوية إلى حد توريث التاريخ، وجعله يقوم مقام المقدس والمرجعية « يومئذاك ادخر الأب مولاي ما كان سيقوله لابنه جلال إلى مناسبة نجاحه في البكالوريا ليلتحق بأكاديمية شرشال لمختلف الأسلحة: أردت لك أن تكون من خيرة أبناء الذين حرروا الجزائر، فأحس نفسه حوّم مثل باز يستعرض رشاقته، كذلك كان قال لباية »[29].

فالاعترافات تشكل بالنسبة للبطلة الهوية السردية الجديدة لأنها تتكون « لدى شخص مفرد أو لجماعة تاريخية من الموقع المنشود لهذا الانصهار بين السرد والخيال، إذ تصير حياة الناس أكثر معقولية بكثير حين يتم تأويلها في ضوء القصص التي يرويها الناس »[30] ، "فالطاووس" ماهي إلا مثال للتاريخ النقي والطاهر سواء في الثورة أو حتى بعدها، كما تسهم اعترافات الوالد في شحن الهوية وهذا ما تنقله "الطاووس" « لا بد أن أعزو ما أجبر الوالد – كولونيل الزبربر– على سرد ما جعله الزمن القاهر من حياته تبعثرات يصعب إعادة ترتيبها في الذهن، إلى ضغط صرخته المحتبسة في روحه بفعل آلامه كل آلامه إنها حالة شبيهة بحالي الآن، لا أدري كيف اصرخ في وجه الحماقة، إني أدرك أنه يصعب على ضابط سام قياسا إلى ما مضى من تلك الحياة أن يفصل لحظة عن أخرى كعزل عنصري الماء، فتلك هي المعضلة تذكاراته مهما يبدو بعض عناصرها قد فصل لهذا السبب أو ذاك لما تفرضه غالبا هذه الرقابة الذاتية المشقية الناخرة، فإنها تغمرني كلها، أني اتخيلها »[31]، فالوالد في هذا المقام ساهم إلى جانب الجد في إثراء الذاكرة بجملة من الاعترافات التي تستفيد منها الأنا في رسم ملامح هويتها.

يفضح "مولاي بوزقزة" ممارسات الاستعمار الفرنسي، عن طريق ما يقوم به من تخريب للعقول ومحاولة لإدخال نار الفتنة بين الثوار والمجاهدين، وذلك بتجنيده للجزائريين « فقد ظل النقيب ليجي كلما أفلح في تحويل أحد المقبوض عليهم إلى الزرقان، كان مولاي بوزقزة يعلم ذلك أيضا من تقارير قايد بن عمر، شعر أنه أسكت في روحه المعذبة هاجسا آخر من هواجس هزيمته في فيتنام »[32] ، كل هذه الدسائس كانت بهدف القضاء على الهوية

الوطنية عن طريق إثبات أن الجزائريين غير راضين عن الثورة وبالتالي اتباع سياسة التفريق بين الشعب الواحد، وهذا ما لم يفلح به العدو فقد أكد الجد على التحام الشعب بثورته وبالتالي بهويته الموحدة التي صنعتها الثورة.

لا يكتفي الاستعمار بهذه الممارسات وفقط، بل يسعى جاهدا لأجل القضاء على الثورة بكل ما أوتي من قوة، والإبادة هي الحل في نظر هذا المستعمر « ذلكم بعض مما كان للريشة أن ترسمه من فظائع الجرائم التي ارتكبها جيش فرنسي، فقد كل شرف عسكري يجب أن يسود خلال أي حرب، كأنه هو الشاهد! حرّك لسانه لصوت النقيب بدري، صوت تضخم عتيقا عميقا، كما من مقام خال ينبع بربرية في أوج توحشها، هنا بطون مبقورة لنساء حوامل، هذه أشلاء لأجنة، وهذه رقاب شيوخ وأطفال منحورة، وهناك بساتين متلفة، نخيل مقطع الجذوع، وديار مخربة، دكاكين، ومعامل للخزف محرقة، وتلك حمير وبغال محملة بالقمح والشعير والتمر يسوقها العسكر »[33] ، هذه الجرائم كانت تحاول فرنسا من خلالها إسكات التلاحم الشعبي للثورة وزرع الخوف في نفوس الثوار وحملهم على خيانة قضيتهم.

تسهم هذه المعارف في ترسيخ تواصل الهوية مع تاريخها لأنه « يشكل منطلقا لتحديد هويتها، إذ تتجذر هوية الجماعة في تاريخها، ويبرر تاريخ الجماعة وآثاره في صيغ مكتوبة في تاريخها، ويبرر تاريخ الجماعة وآثاره في صيغ مكتوبة كما يتجلى في تقاليد الجماعة، وأساطيرها وحكاياتها وينطوي ذلك التاريخ أيضا على الأحداث الفردية والجمعية وعلى صورة أبطالها التاريخيين، كما يشتمل على صورة الحياة السياسية للجماعة وآثاره في تنظيم الوسط الحيوي، والبنية الديمغرافية والنشاطات الراهنة، والبنية الاجتماعية، وأخيرا الآراء، الاتجاهات والمعايير السلوكية وموروثات الماضي»[34]، على اعتبار التاريخ هو الشاهد الوحيد، الذي رافق نشوء الجماعات والمراحل الكبرى التي مرت بها، وسجّل دور بعض الأحداث الجزئية التي غيّرت مسار الأمم، وكان لها الدور البارز في ظهور بواعث وأفكار جديدة أسهمت في تشكيل الهوية وهذا ما يقوي ويعزز العلاقة بين التاريخ والهوية ويصهرهما في قالب واحد، فلا يمكن فصلهما، فـ "الطاووس" هنا تؤسس هويتها من جديد ، من خلال سرد اعترافات جدها نقلا عن والدها، وسرد أدق تفاصيل حياته في الثورة « السنين الست التي قضاها مولاي بوزقزة في الجبل على درجة إيلامها وشقاوتها، كما قرأ كولونيل وسمع ودوّن، كانت مثيرة بأدنى فعل، بأبسط كلمة على هامش الحرب، بهذه اللحظات التي يصفو خلالها الذهن حد الاشراق أو يغيم إلى درجة القنوط، بأفظع مشاهد القتال والموت والدم وآثار الحرائق والخراب بهذا الإحساس بأن الحياة لا تزال مستمرة بعنفوانها لا تتوقف لها حركة ليلا ونهارا؛ إذ هي بقدر ما تمثلها الأحزان، تسخو على المظلومين بفرح آت دائما، وحتى إن تأجل الفرح ! ذلك ما رآه بعين الطفل كأنه فهمه من خلال التهلل الأعظم»[35] ، هذه التفاصيل الدقيقة تمثل للهوية « تشكيلا جديدا أو تأسيس لهوية منزاحة بين الماضي والحاضر»[36]، فالتاريخ المقدم هنا هو عبارة عن أحداث ماضية تنقلها وترويها "الطاووس" شكَّلَ في مجمله ذاكرة

شعب قاوم أعتى الجيوش ولم يسلم من الخيانات والمؤامرات والمكائد وغيرها، والغاية من هذه المعلومات تكمن في بعث الحقيقة وتمتين رابطة الوفاء للماضي الثوري.

2. 3. الهوية والذاكرة التاريخية:

يؤدي التاريخ دورا هاما في تحديد هوية الجماعة إذ يعد منطلقا لتعريفها فهو يكسب الهوية بُعدا جديدا من خلال تقديمه كاطار مرجعي في « سياق أوسع للسيطرة والمقاومة وفي إعادة كتابة التواريخ من منظور نقدي يكشف المسكوت عنه في الذاكرة وفي استنطاقها بسياسات التمثيل في صراع القوة والصور في تفكيك أوهام الإيديولوجية وفي نقد الهويات القائلة والتحليل الدقيق لاستراتيجيات السلطة»[37] ، وإذا عدنا إلى الرواية وجدنا أن « كتابة التاريخ في الجنس الروائي الذي يبحث مسألة الهوية، هو كتابة الذاكرة الراهنة للماضي »[38]؛ أي تأسيس علاقات جديدة بين الحاضر والماضي، وجعل الفرد من خلال فعل التذكر يقوي صلاته بالحياة الماضية، ويكتشف أثر تلك التحولات في بناء ماهيته اليوم.

وفي هذا الصدد يقول (بول ريكور Poule Ricœur) عن علاقة الهوية بالذاكرة: « إنها الرهان الأول المكرس للذاكرة [أي الهوية] من دون اعتبار المصير الذي ستلقاه في المرحلة التاريخية للعلاقة مع الماضي، وهو أن نذهب إلى أبعد ما يمكن، ففينومينولوجيا الذاكرة التي هي اللحظة الموضوعاتية للذاكرة »[39]، فالذكريات المخزنة في نفسية الفرد تؤثر على هويته باعتبارها مجموعة من التراكمات التاريخية، والتي تعبر عن جانب مهم من علاقاته وتفاعلاته مع غيره، ويضاف إلى هذا الأمر _ علاقة الهوية بالذاكرة التاريخية _ أن الهوية في نهاية الأمر ما هي إلَّا « نتاج لعملية السرد أو التحبيك الذي تمارسه الجماعات غير أن عملية التحبيك الثقافي هذه تعبّر عن صراع اجتماعي أو ثقافي أو إيديولوجي وذلك من حيث هي تعبير عن الهيمنة التي تمارسها جماعة على أخرى »[40]، أي أن الهوية تتكوّن عبر مجموعة من عمليات السرد الذي يروي تاريخ الأمم، وقد تكون كذلك محصلة لمجموعة من الصراعات، أو نتيجة لهيمنة طرف على حساب آخر، لكنها تبقى خاضعة لسلطان التاريخ.

تؤكد "الطاووس" هنا على دور التاريخ في تشكيل مرجعيتها من خلال الكشف عن دوره في بلورة أسرتها، من خلال المخطوط الذي قُدِّمَ لها وهو يروي لها بالتفصيل كل ما يتعلق بعائلتها « الآن أمكنني أن أعرف أن جدي مولاي بوزقزة نزل إذا من الجبل برتبة ضابط ثان: نقيب قبل نصف قرن، وقبل تسعة وأربعون عاما كان والدي جلال دخل مدرسة أشبال الثورة فأكسبته حياته العسكرية الميدانية لقب كولونيل الزبربر رتبة سامية رُقِّيَ إليها »[41]، فالتاريخ هنا يصبح ميزة مهمة في هذه الأسرة، وتصبح الهوية مقترنة بما توفره هذه الذاكرة التاريخية، بل إنّ "الطاووس" تؤكد انتمائها لهذه الذاكرة الجمعية من منطلق أنَّ « هوية الأفراد لا تتشكل فقط من تلك العناصر والبيانات المتضمنة في ما يسميه أمين معلوف (بطاقة هوية)، بل إنها تمتد لتشمل الدين والمذهب والطائفة الجنسية واللغة والعائلة والجماعة الإثنية والجماعة القبلية والمحيط الاجتماعي »[42]، بل إنّ الهوية المطروحة هي

تاريخية محضة وجدت بفعل الإرث التاريخي المتروك للابن "جلال" « هكذا من غير تفلسف عن السبب أحس رغبة في أن أظهر بها لمن قدّموا دمهم فدية لتستمر الجزائر فتطمئن أرواحهم السابحة في الأثير فوق رؤوسنا، مثلما أجاب باية، إذا انشغلت له قبل ذكريين، أحب أن أراك بها ولكن ألمْ يأْن لك أن تستريح منها »[43] ، فالابن في هذا الموقف يفخر بأنه سليل إرث أو تركة تاريخية، مما يجعل العنصر التاريخي غالبا على باقي مكونات هويته.

كما تتجلى علاقة "الطاووس" بالتاريخ في بيان سؤال الهوية في حياتها وأثره في توجيهها وتعديل مسارها وتغيير توجهها « ونهاية أني استرجع في صمتي أن أكون أيضا حفيدة لجد بتلك الشمائل من الشجاعة الميدانية غير الخارقة ولكن العامرة إنسانية استثنائية، ومن السخاء الكتوم والعفة الآسرة، وهذه القدرة الصلبة على الصمت، وها أني أفك راحتي عن وجهي »[44]، فـ "الطاووس" تفخر بانتماء هويتها إلى هذه الذاكرة التاريخية مجسدة في الوالد والجد وتجد نفسها منغمسة في الماضي و« هذه الأشكال من حضور الماضي في عملية التفكير في المستقبل هي ما يقود إلى أن كل تفكير في المستقبل الآتي لابد أن يستعيد بصورة أو بأخرى الماضي كحافز أو معبئ أو موجه لمساره »[45]، بل تجعلها هذه المعارف الجديدة حول فظاعة الاستعمار وعظمة الثورة تشعر بالفخر والامتنان وحب الانتساب لمثل هؤلاء الثوار (الجد المجاهد) « أتخيل جدي رأى من غير مرآة بريق سعادة غمر وجهه، كذلك الذي رأيته منه، قبل عشرة أعوام، يوم سبقت أمي باية ووالدي جلال وفاجأته بالدخول عليه في صالة بيته، هناك في الحاكمية، حاملة له باقة ورد من جنينتنا»[46]، لأن الانتماء للماضي والفخر بالإرث التاريخي عاملان مهمان في شحن الهوية .

هذا الفخر بالنسبة لها هو شعور بالانتماء إلى ذاكرة تاريخية جديدة وإحساس يطبع الهوية بأنها مكتملة، وكذلك يعد « تعبيرا عن هويتها التي لا تلامس الآخر، وفق أنساقها الثقافية الخاصة بها، والتي تأتي معبرة عن رغباتها السياسية في التميز الثقافي أو في رفض الآخر والتماهي معه »[47]، من منطلق أن الآخر (الاستعمار) يظل يشكل للذات بعض الآلام وأن ما قرأته عن أخطاء الذات، يمكن تجاوزه مقارنة بجرائم الآخر وآثاره السلبية التي تركتها إنه وَثَّقَ بأفعاله ذاكرة الوطن مع أفراده، والأمر الذي يساعد على تحقيق الارتباط بالذاكرة التاريخية، هو شخصية "مولاي بوزقزة"، الذي كان له الشرف بأن يسهم في تحقيق الاستقلال لوطنه، وأن يكون شاهدا على هذه الذاكرة وهي تكتب بأحرف من تضحيات، رغم أن التاريخ الذي خلفه كإرث ضخم لم يعجب لا الابن ولا الحفيدة، لكنه بدون شك ساهم في ترميم بعض التصدعات التي واجهت الهوية، فهذه المذكرات تمثل بالنسبة لهما رافدا مهما أو مرجعية لمسارهما وحماية لوجودهما من الزوال « وجدت، من كل ما كان جدي مولاي بوزقزة خلّفه للوالد، كولونيل الزبربر، وإن لم أصنفه ضمن ما يشبه يومياته أو سيرته لأنه ليس بمذكرات أيضا، فرسخ في ذهني، هو هذا العناد الذي لا يقول طبيعته، على إغفال ما كان مسّ حياته الشخصية، الحميمية أيضا، وها إني مما نسخته بعد مسح له على الشاشة، أقرأ عن بعد »[48]، ولا ننسى الزمن أو الوقت الذي تلقت فيه "الطاووس" هذه المذكرات هو مرور خمسون

سنة على استرداد السيادة الوطنية، فلا بد لهؤلاء من مثير يعيد إيقاظهم ويعيد تثبيت هذه الهوية بذاكرتها وربط الجماعة بتاريخها من أجل « أن تستعيد تَمَلُّكَ التاريخ بعد أن كانت الذاكرة الفردية، ذاكرة الشاهد هي الرحم الذي ولد منه التاريخ لما سجلت شهادة الشاهد »[49] .

هذه الذاكرة التاريخية، وفرّت للهوية إجابات عن مجموعة من الأسئلة، بل جعلت التاريخ ينتقل من جيل إلى جيل، ويخرج من إطار الشهادات الفردية إلى الكينونة الجماعية « وجدته في المكتبة واقفا ينتظرني، رازني بتعب عابر كأني تأخرت عنه، سلّمني بشماله مفتاح (فلاش ديسك) نطق: تجدين فيه ملفا واحدا مهما، وتبسم: ذلك ما يمكن أن ترثيه مني، وأمال عينيه »[50]، فقد أراد هذا الجد من خلال نقل هذه الاعترافات إلى الابن ثم الحفيدة إحداث تواصل تاريخي حقيقي، وتأكيد الصيرورة التاريخية للهوية.

يبقى أن نقول، أن رواية "كولونيل الزبربر" أرادت أن ترسم الهوية من خلال علاقتها بالذاكرة التاريخية ممثلة في الثورة التحريرية المظفرة، وأرادت جعل التاريخ مرجعية مهمة في بناء الهوية الجزائرية، لأن التاريخ في هذه الرواية وافق التصور الذي يطرحه بعض الباحثين في كونه أحد أبرز مكونات الهوية، فهي متبلورة في هذه الرواية عن طريق وفائها للأحداث التاريخية.

2. 4. الهوية وتاريخية المكان:

تُطْرَحُ علاقة الهوية بالذاكرة التاريخية من خلال المكان، فلا يخفى على أحد أن المكان هو الحيز الذي تحيا فيه الشخصيات، ويكون المكان ذلك الحيز الذي يتشكل بفعل تلاقحه مع الزمان فهما « عنصران متفاعلان لا يمكن عزل أحدهما عن الآخر، فإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فإن المكان يصاحب هذا الخط ويحتويه ويرتبط الزمن بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي »[51]، فالشخصية باعتبارها حاملة لقيم الهوية لا تستطيع الانفصال عن المكان، لأن هذا المكان هو مستقرها ويحمل بالنسبة لها عدة مدلولات، تتعزز الصلة بين الهوية والمكان، لأن الهوية تتعايش في وسط ما ولأن هذا الأخير يشكل لها تاريخا خاصا فـ « المكان أقدر ما يعطي فكرة الكينونة في تجسدها وانقطاعها عن الذهنية البحتة ومطلقية التجريد، فهو المتلازم الأهم مع فكرة الوجود، فلا وجود خارج المكان »[52] .

يتجسد دور المكان في الهوية، من خلال جعله بمثابة الشاهد على الأحداث التاريخية، إذ تظهر الرواية قوة وصمود (جبل الزبربر) قرب ولاية (المدية)، هذا الجبل الذي لم تستطع النيران والقذائف إخضاعه أو النيل منه أو السيطرة عليه « وعلى خيوط الصبح الأولى، بين جدوع أشجار صنوبر وعرعار منتصبة كعوامد لصحن مقام في قلب الزبربر، خاطب جنود فصيلته بما أحب أن يخاطبه ضابط أو قائد لو كان جنديا بسيطا بما شعر بقوله لنفسه أولا: الواجب يناديا، نحن نقاتل بشرف الرجال، العالم كله يستمع لأخبارنا، يقّر شجاعتنا، وهذه الأرض تنصت لمطلبنا: الحرية »[53] ، هذا المكان يتحول إلى كائن حي، يدخل في جو أخوي مع المجاهدين، يحميهم، بل يشهد

على أقوالهم وأفعالهم وما الآثار التي خلّفتها المعارك إلا خير دليل على هذا الأمر، بل يجعله "مولاي بوزقزة" شاهدا على صناعة هذا التاريخ «ستحفظ لكم ذكرا مجيدا كل شجرة وكل ورقة، وكل نبتة في هذا الجبل، وكل طير وحشرة وكل حيوان »[54]، هذا الارتباط بالمكان هو تأكيد على مشاركة كل شيء في هذه البلاد في صناعة الذاكرة التاريخية، فالجبل هنا مرتبط بالثورة، لأنه كان خير عاصم للثوار إذ يدخل المكان في تشكيل « مسار الهوية الذاتية في بعدها السردي، والمسار المرتبط بالذاكرة من منظور ابستيمولوجي يجعله بمنزلة المعرفة لكتابة التاريخ »[55] ، فيكون المكان شاهدا على هذه الأحداث ما يؤهله ليلعب دورا مهما في صناعة ذاكرة الأفراد والأجيال وشحن هوياتهم.

وينجح هذا المكان في كسب احترام الأجيال، وما تعبير الابن "جلال" عن الأمر إلا دليل على تحول هذا المكان إلى مرجعية مهمة في بناء هويته « وعند شروق شمس الغد على حقل العائلة في بداية يوم حملة الحصاد والدرس، وقف ينظر إلى جبل الزبربر: أحس أنفاسك، هل يصلك صوتي؟ كنت لهم حصنا وحضنا، ما أقوى صمتك، ولم يكن ليسمعه همس له إلا في منامه: ستقتفي أثرهم يوما لتطهرني كما فعلوا »[56] .

فهذا الجبل يظل بالنسبة إلى الابن "جلال" محطة مهمة في صناعة تاريخ الوطن وصناعة مجد قادته وجنوده، إذ أعطى هذا المكان دعما معنويا للهوية، فجعله يقدس جبل (الزبربر)، بل إن اسم الجبل الصق به ليؤكد بهذه النسبة أن المكان خير داعم لهويته وخير شاهد على الأحداث التي جرت فيه، فصورة الهوية في هذا الموقف عبارة تفاعل بين مجموعة من الروافد من تاريخ وبيئة حيوية ونشاطات ذهنية.

لقد أبانت الرواية أن الهوية الجزائرية محصورة في دائرة سردية كبرى ممثلة في الثورة التحريرية، فالثورة في الرواية جاءت في شكل أسطوري شاعري، أعادت رسم ملامح جديدة للإنسان الجزائري، وأعادت الثورة رسم ملامح وجوده، بل حافظت هذه الثورة على هويته من الضياع فالآن لابد أن يظل هذا التاريخ عاملا فعالا في مرجعية الهوية، كما تعين هذه الذاكرة التاريخية على صيانة القيم والمبادئ، وحماية الهوية من الأزمات، أي أن التاريخ هنا لعب دور الحامي للانتماء عن طريق حصره لهوية الأفراد في موقف قد يبدوا متحيزا ومتعصب لكنه ينشد استقرار الهوية وتأكيد الصلة مع مرجعيتها الماضية.

خاتمة:

من خلال ما تقدم يصل البحث إلى مجموعة من النتائج:

- ✓ يتقاطع مفهوم الهوية مع عديد المصطلحات وبالتالي فهو مصطلح زئبقي لا يمكن الإمساك به؛ أي غير ثابت فهو يخرج إلى معاني متعددة، فقد يحيل إلى مفهوم الشخصية باعتبارها مجموعة السمات.
- ✓ يتقاطع التاريخ مع السرد في كونهما يصوران كينونة الإنسان، إذ يعتبر المادة الرئيسية لكليهما فالجماعات مرويات وسرود حسب إدوارد سعيد.

- ✓ تتكون الهوية من وسائط تاريخية (المكون التاريخي)؛ أي جملة الأحداث الكبرى التي تؤثر في الفرد ووسائط فكرية متمثلة في طرائق التفكير وتؤثر كذلك الظروف الحيوية والجغرافية في تشكلها.
- ✓ أما عن علاقة الهوية بالتاريخ فإنها تطرح من منظورات مختلفة؛ فإذا كان التاريخ جملة أو سجل أحداث ماضية فإنه يسرد الأحداث الكبرى، هذه الأحداث هي مرتبطة بجوهر الهوية.
- ✓ طرحت الرواية قضية الأنا ممثلة في شخصية الحفيدة " الطاووس " التي تفتخر بتاريخها الخاص، لكنها تبدوا حائرة بسبب المعارف الجديدة التي تحصلت عليها؛ فرغم قسوة هذه المعلومات إلا أنها تمكنها من تعديل مسار هويتها.
- ✓ أسهمت اعترافات الجد " مولاي بوزقزة "في تقديم صورة نقية للهوية، عن طريق كشف جوانب وخفايا التاريخ بشقيه السلبي والإيجابي، مما مكن " الطاووس " من إعادة سد الفجوات والتصدعات التي كانت هويتها تعاني منها؛ لأن الاعتراف مَثَّل في هذا المقام إعادة تعريف وبلورة للهوية.
- ✓ رسمت الرواية الهوية من خلال علاقتها بالذاكرة التاريخية ممثلة في الثورة التحريرية المظفرة، وأرادت جعل التاريخ مرجعية مهمة في بناء الهوية الجزائرية.
- ✓ تعين هذه الذاكرة التاريخية على صيانة القيم والمبادئ، وحماية الهوية من الأزمات، أي أن التاريخ هنا يؤدي دور الحامي للانتماء عن طريق صهره لهوية الأفراد.
- ✓ أدى المكان المرتبط بالتاريخ (جبل الزبربر) دورا فعالا في تعميق الهوية الوطنية بمعالم الثورة فالجبال سجلت وقائع المعارك وكانت شاهدا على بطولات الثوار، ويصبح المكان هنا باعثا ورافدا مهما للهوية وذلك لقداسته وارتباطه بالماضي التاريخي للهوية.

الهوامش :

[1] – أحمد بعلبكي وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص23.

[2] – محمد محمد داوود: معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 38.

[3] – حاتم الورفلي: بول ريكور: الهوية والسرد، دار التنوير، تونس، د ط، 2009، ص43.

[4] – شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص 145.

[5] – عبد الله إبراهيم: التخيل التاريخي – السرد، الإمبراطورية، التجربة الاستعمارية–، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 07.

[6] – شعيب حليفي: تخييل الحقيقة في السرد الروائي، أعمال ملتقى الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية، رابطة أهل القلم سطيف، الجزائر، د ط، 2013، ص 26.

[7] – ثائر رحيم كاظم: العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية الآداب، جامعة القادسية بغداد، العراق، ع1، مج 8، 2009، ص 259.

[8] – جنات بلخن: السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 106.

[9] – حاتم الورفلي: بول ريكور: الهوية والسرد، ص 58.

[10] – فتحي بوخالفة : التجربة الروائية المغاربية – دراسات في الفاعليات النصية وآليات القراءة –، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، د ط، 2010، ص 412.

[11] – نضال الشمالي: الرواية والتاريخ – بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية –، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2006، ص 129.

[12] – طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة – معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع–، تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 700.

[13] – عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة – تفكيك خطاب الاستعمار وإعادة تفسير النشأة –، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص51.

[14] – سيجموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، مصر، ط4، 1984، ص 31.

[15] – آرثر آيزبرجر: النقد الثقافي– تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية –، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ط1، 2003 ، ص60.

[16] – رأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، د ط، 2000، ص 16.

[17] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر (رواية)، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص 14–15.

[18] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 24.

[19] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 129.

[20] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 129.

[21] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 177.

[22] – نادر كاظم: الهوية والسرد – دراسات في النظرية والنقد الثقافي–، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 2016، ص 130.

[23] – حكيم أومقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية– الطاهر وطار أنموذجا –، دار الغريب للتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 2005، ص 103.

[24] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 181.

[25] – عبدالله إبراهيم: السرد، والاعتراف والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص05.

[26] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 97.

[27] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 128–129.

[28] – عبد الله إبراهيم: الهوية والاعتراف، مجلة يتفكرون، ملف العدد: الهوية والذاكرة ومسارات الاعتراف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ع 4، صيف 2014، ص 22.

[29] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 209.

[30] – ديفيد وورد: الوجود والزمان والسرد – فلسفة بول ريكور–، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1998، ص 251.

[31] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 22.

[32] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 122.

[33] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 218.

[34] – أليكس ميكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، ط1، 1933، ص 23.

[35] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 59–60.

[36] – عبدالله إبراهيم: السرد، والاعتراف والهوية، ص26.

[37] – شعيب حليفي: تخييل الحقيقة في السرد الروائي، أعمال ملتقى الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية، ص26.

[38] – صالح بن الهادي رمضان: الخطاب التاريخي في السرد الروائي ومسالة الهوية، أعمال ملتقى الباحة الأدبي الخامس: الرواية العربية – الذاكرة والتاريخ –، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2013، ص 352.

[39] – بول ريكور: الذاكرة ، التاريخ، والنسيان، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 31–32.

[40] – نادر كاظم: الهوية والسرد – دراسات في النظرية والنقد الثقافي– ، ص 79.

[41] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 20.

[42] – مجموعة مؤلفين: الهوية وقضاياها في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 319.

[43] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص، 20.

[44] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص298.

[45] – محمد عابد الجابري: مسألة الهوية – العروبة والإسلام والغرب –، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 4، 2012، ص 89.

[46] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 141.

[47] – محمد عابد الجابري: مسالة الهوية – العروبة والإسلام والغرب –، ص 141.

[48] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص55.

[49] – بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، ص 18.

[50] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 16.

[51] – سيزا قاسم: بناء الرواية – دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ –، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط3، 2004، ص 106.

[52] – صلاح صالح: قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، مطبعة الشرقيات، القاهرة، مصر، د ط، 1997، ص 11.

[53] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 62.

[54] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص62.

[55] – عبد الله السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى بول ريكور، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ع 3، ديسمبر 2014، ص5.

[56] – الحبيب السايح: كولونيل الزبربر، ص 50.